ما حقيقة الزيغ ؟

عاتب الله ـ سبحانه وتعالى ـ أهل الكتاب : لأنهم آمنوا ببعض الكتاب وكفروا ببعض ، ووعدهم بأن من فعل ذلك له خزي في الدنيا ، ويوم القيامة له العذاب الأكبر :

﴿ أَفَتُؤْمِنُونَ بِبَعْضِ ٱلْكِتَٰبِ وَتَكْفُرُونَ بِبَعْضٍ ۚ فَمَا جَزَآءُ مَن يَفْعَلُ ذَٰلِكَ مِنكُمْ إِلَّا خِزْىٌ فِى ٱلْحَيَوٰةِ ٱلدُّنْيَا ۖ وَيَوْمَ ٱلْقِيَٰمَةِ يُرَدُّونَ إِلَىٰٓ أَشَدِّ ٱلْعَذَابِ ﴾

[البقرة : ٨٥] .

وقد سمَّى الإمام أحمد بن حنبل ـ رحمه الله ـ ردَّ الشيء الواحد من كلام رسول الله ﷺ زيغاً فقال :

« نظرت في المصحف ، فوجدت طاعة الرسول في ثلاثة وثلاثين موضعاً » .

ثم جعل يتلو قوله تعالى :

﴿ فَلْيَحْذَرِ ٱلَّذِينَ يُخَالِفُونَ عَنْ أَمْرِهِۦٓ أَن تُصِيبَهُمْ فِتْنَةٌ ﴾ [النور : ٦٣] .

وجعل يكررها ويقول :

وما الفتنة ؟ وما الفتنة ؟

الشرك .

لعله إذا ردَّ بعض قوله أن يقع في قلبه شيء من الزيغ فيزيغ قلبه فيهلكه[1] .

إنه شيء مخيف : أن يعلم إنسان حكماً شرعياً سواءً في الأحكام أو

---

(١) الصارم المسلول : لابن تيمية : ٥٦ .

في العقيدة ، ويعلم ثبوته في كتاب الله أو بكلام متواتر عن رسول الله ﷺ ، ثم يدَّعي عدم إيمانه بصلاح هذا الحكم الشرعي للعمل به لماذا ؟

إنه حكم لا يتناسب مع تطور الزمن ! !

هذا ما يعنيه القرآن : يؤمن ببعض ويكفر ببعض . . .

* * *

منازل الدنيا :

قال الإمام ـ الحسن البصري ـ رضي الله عنه :

أهل المعرفة في الدنيا على ثلاثة منازل :

١ـ رجل لقي العبادة فعانقها وخلط بها لحمه ودمه ، وفزع إليها قلبه ، وعلم أن الله تعالى رازقه وكافيه ، فوثق بوعده ، فلم يشغل نفسه بشيء من أمور الدنيا .

جعل السماء سقفه والأرض بساطه ، ولا يبالي على يسرٍ أصبح أم على عسر .

أمسى يعبد الله حتى يأتيه اليقين ، فهذا الضرب في الدنيا أعز من الكبريت الأحمر . . .

٢ـ ورجل آخر :

لم يصبر كما صبر الأول ، فطلب كسرةً من حلِّها يقيم بها صلبه ، وخرقة يواري بها عورته ، وبيتاً يسكنه ، وزوجة يستعف بها .

وهو مع ذلك شديد الخوف ، عظيم الرجاء ، فهو على طريق حسن .